المحور الرابع: اقتراب تحليل النظم (الاقتراب النسقي)

لقد استمد اقتراب تحليل النظم فكرته الأساسية من النظرية العامة للنظم والتي تعد المنطلق النظري التحليلي لجميع المستخدمين لمفهوم النظام في تحليلاتهم الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والتي ظهرت في العلوم الطبيعية ثم انتقلت إلى حقل الدراسات الاجتماعية والسياسية، وترتكز هذه النظرية على افتراض مفاده (النظام المفتوح) الذي ينظر إلى ظواهر الكون الحية على أنها نُظم مفتوحة تتميز بوجود علاقات تبادلية مستمرة بينها وبين البيئة التي توجد فيها.

ويعود الفضل إلى عالم السياسة الأمريكية "دفيد استون" وتطوير اقتراب تحليل النظم وإدخاله إلى حقل علم السياسة، وذلك من خلال مجموعة من الأعمال العلمية أبرزها كتاب النظام السياسي Political System وكتاب تحليل النظم السياسية Analysis of political of life .

1- المفاهيم الرئيسية لاقتراب تحليل النظم:

أكَّد دافيد إيستون على أنَّه من أجل الوصول إلى نظرية عامة وشاملة يجب تطوير مجموعة مترابطة من المفاهيم في إطار متكامل وعلى درجة عالية من التجريد تُمَكِّن من القيام بالتحليل وتوجيه الإهتمام نحو المحددات الرئيسية للسلوك السياسي، كل ذلك انطلاقاً من أنَّ المفاهيم تشير إلى متغيرات من واقع الحياة السياسية، وأهم هذه المفاهيم هي:

1- النظام (System): يُمثل النظام وحدة التحليل الرئيسية عند **ايستون**، ويُعَّرَفْ النظام بصفة عامة بأنَّه مجموعة من العناصر المتفاعلة والمترابطة وظيفياً مع بعضها البعض بشكل منتظم، بما يعنيه ذلك من أنَّ التغير في أحد العناصر المُكَوِّنَة للنظام يؤثر في بقية العناصر فالنظام يتمتع بنوع من الإعتماد المتبادل بين مكوناته، وله حدود تفصله عن النظم الأُخرى، وله محيط أو بيئة يتحرك فيها .

2- البيئة (Environment): يشير مفهوم البيئة لدى ايستون إلى كل ما هو خارج حدود النظام السياسي ولا يدخل في مكوناته، ولما كانت فكرة النظام السياسي لا تعدو أن تكون فكرة تحليلة فإن الفصل بين النظام السياسي والأنظمة الاجتماعية الأخرى لا وجود له واقعيا بل مجرد فصل نظري للتحليل فقط، وهذا ما يعني أن النظام السياسي يؤثر ويتأثر ببيئته.

3- الحدود (Boundaries): فالنظام السياسي لا يوجد في فراغ بل في إطار بيئة، لذا لابد من الفصل التحليلي بين النظام السياسي وبيئته بوضع نقاط تصورية توضح مناطق انتهاء الأنظمة الأُخرى وبدء حدود النظام السياسي، أي أن هناك حدود للنظام السياسي تفصله عن المحيط أو البيئة بمختلف جوانبها، وإن كان هذا لا يعني إلغاء علاقات التأثير بين النظام السياسي وبيئته الاجتماعية والاقتصادية التي تتم عبر الحدود .

4- المدخلات (Inputs): تشمل مدخلات النظام السياسي على كل ما يتلقاه هذا النظام من بيئته، وهي تشتمل عنصرين رئيسيين هما المطالب والتأييد، فتشير الأولى إلى الرغبات الاجتماعية خاصة تلك المتعلقة بكيفية توزيع القيم وتحقيق أهداف المجتمع، وهي قد تكون عامة كما قد تكون محددة، وقد يكون

التعبير عنها بصورة مباشرة أو غير مباشرة، في حين تشير الثانية إلى الإتجاهات والمواقف سواء المؤيد منها أو المعارض للنظام .

5- المخرجات (Outputs): وهي مجموعة القرارات والأفعال والتصرفات التي يقوم بها النظام وتكون لها الصفة الإلزامية، ويتم بمقتضاها التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع .

6- عملية التحويل: هي مجموعة النشاطات والتفاعلات التي يقوم بها النظام والتي بمقتضاها تتحول مدخلات النظام إلى مخرجات في شكل قرارات، سياسات،برامج حكومية، تصريحات إعلامية، فعملية التحويل بمثابة غربلة للمدخلات ذلك أنه بينما يتم التعبير عادة عن مطالب كثير فانه لا يتحول منها إلى مخرجات سوى عدد قليل نسبيا .

7- التغذية الإسترجاعية: وتشير إلى تدفق المعلومات من البيئة إلى النظام السياسى الناتجة عن أفعاله (أي عن الآثار التي أحدثتها قراراته وسياساته)، بهذا المعنى تربط المدخلات بالمخرجات في عملية مستمرة، وتكمن أهمية هذه العملية في أنها ضرورية لبقاء النظام لأنه على أساس الوعي بما يحدث بالنسبة للمدخلات تصبح السلطة قادرة على الاستجابة إما بالمضي في سلوكها السابق أو تعديله أو التخلي عنه, فالتغذية العكسية الفعالة تضمن الاستجابة الفعالة, وفى حالة غيابها يتعرض وجود النظام للخطر.

وقد لخَّص أستون "النظام السياسي في كونه دائرة متكاملة ذات طابع ديناميكي من التفاعلات السياسية المتوجهة بصفة أساسية نحو التخصيص السلطوي للقيم في المجتمع، تبدأ هذه الدائرة بالمدخلات وتنتهي بالمخرجات وتربط التغذية الاسترجاعية بين هاتين الفتحتين.

ويمكن توضيح أبرز المفاهيم التي بني عليها دافيد إستون اقترابه من خلال الشكل التالي:

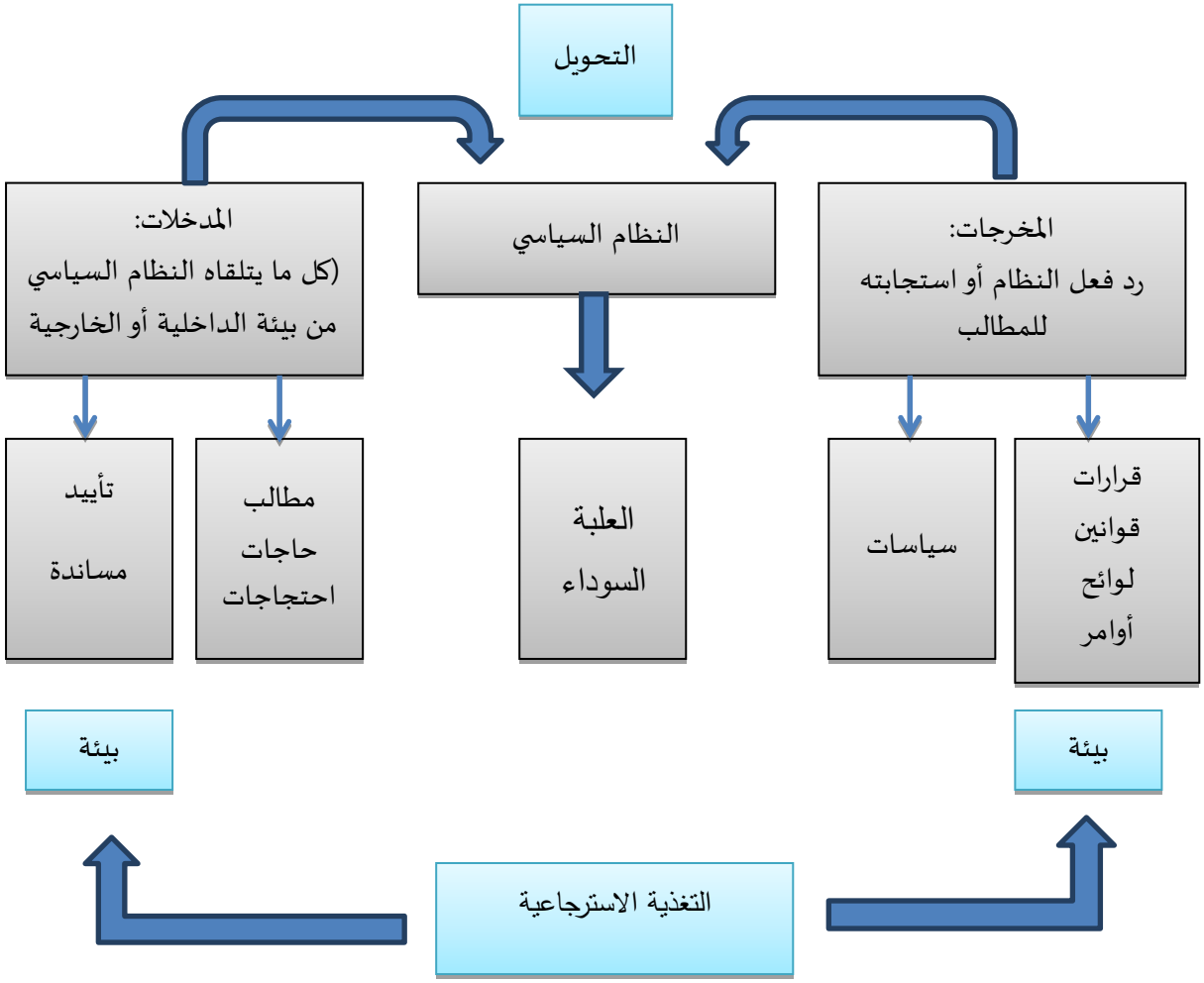

2- الافتراضات الأساسية للاقتراب:

إن النظام حسب إستون عبارة عن مجموعة من العناصر المتداخلة والمترابطة وظيفيا مع بعضها البعض، والنظام السياسي هو نسق من التفاعلات يسوده نوع من الاعتماد المتبادل بين مكوناته، وله حدود تفصله عن النظام الأخرى، وله بيئة يتحرك فيها.

ومن أبرز الافتراضات التي يقوم عليها الاقتراب النظمي ما يلي:

- إن النظام السياسي نظام مفتوح يؤثر ويتأثر بالأنظمة الأخرى، ويمتلك قدرة على التكيف مع الضغوط.
- يسعى النظام إلى تحقيق التوازن والاستقرار وذلك من خلال الخصائص التي يمتلكها وتعينه على مواجهة متطلبات البيئة التي يتواجد فيها.
- للنظام مجموعة من الوظائف الضرورية التي لابد له منها من أجل استمراره.
- تمتلك النظم السياسية برامج وآليات لمواجهة بيئاتها، وبفضل هذه الآليات تستطيع النظم السياسية تنظيم سلوكها الخاص وتعديل أبنيتها الداخلية، وتستطيع حتى تغيير أهدافها.
- إن النظام السياسي في حالة حركة دائمة لأنه يتفاعل مع بيئته أخذاً وعطاءً.